**الاسم و اللقب:** أحـــمـــد راقـــع

**الوظيفة:** أستاذ محاضر – ب-

**المعهد / الجامعة** :معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية المركز الجامعي – نور البشير- بالبيّض

**عنوان المداخلة:** كونية اللغة سبيل للعيش المشترك، قراءة في النشأة والأصول.

## كونية اللغة سبيل للعيش المشترك، قراءة في النشأة والأصول

**ملخص المداخلة:**

**في سياق الـحديث عن جدلية الكوني والخصوصـــي،يظهر ما يرأب الصدع بين المتـناقضين ،ويعد كونيا جامعا للإنسانية كلها وخصوصيا يرتـبط بأمة ثقافة معينتين وهذا ما ينطبق على اللغة- التي هـــي نشـــاط عاقل خاضع لقواعد مضبوطة-كظاهرة قديمة قـدم الإنسانية متطورة مسايرة لم هو آني ،وقـــد كان موضـــوع اللغة كماهية ونشأة محـــل اهتمام الحـــضارات منذ القديم إلى غاية يومنا هذا مما يعكس كونيتها كموضـوع عام ،وخصوصيتها من جانب أن اللغات متعددة متمايزة بحسب الأمم والألسن ، وسنسعى في مداخلتنا هذه تسليط الضوء على وجهات النظر المختلفة التي عالجت موضوع اللغة من جوانبها المختلفة .**

**ماهية اللغة ونشأتها**

**ما هي اللغة ؟ إن اللغة نسق من الإشارات و الرموز،وهي أداة من أدوات المعرفة و تعتبر من أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي،فأفكار الإنسان تصاغ دومًا في قالب لغوي حتى في حال تفكيره الباطني ،ومن خلال اللغة فقط تحصل الفكرة على وجودها الواقعي[1].**

---

[1] – **Noëlla Baraquin, jean Dugué, François Ribes, Anne Baudert, jacqueline Laffitte, Joël Wilfert, Dictionnaire de philosophie, troisième édition, Armand Colin, Paris, 2005, p 199.**

لقد شغلت مشكلة البحث في طبيعة اللغة اهتمام الكثير من اللغويين والمشتغلين بفلسفة اللغة، ذلك أن موضوع اللغة هو موضوع الإنسان، وفي هذه النقطة بالذات تتجدد القضية التاريخية المتعلقة بعلاقة الشرق العملي المرتبط بالممارسة، واليونان المُفَكِّر والمُنَظِّر والمُفَلْسِف للمسائل، فهل الدراسات اللغوية شرقية الأصل أم يونانية؟ إن تاريخ علم اللغة يظهر أن هناك معطيات لغوية شرقية ويونانية، ولكن يختلف الباحثون في تقدير قيمة هذه المعطيات، وخاصة حينما يتعلق الأمر بالناحيـــة الصورية والنحوية للغات التي عرفتـها البشـرية حتى القــرن الخامــس قبل الميلاد. إن البحث التاريـخي يُثمّـن الإنجـــازات الحضارية والعلمـية لحضـارات الشــرق الأدنـــى في مـضمار اللغة والبحـــث اللغـوي، وفي الوقـت نفســه يشـيد بالنقلــة النوعيـة للدراســات اللغـوية اليونانيـة ، أي أنـــه إذاكانت الكتابة التصويرية والأبجدية التي تم اكتشافها في بابل ومصر ومناطق أخرى من العالم، وخاصة الكتابة المقطعية التي تم ابتكارها في مصر، تُشكّل البداية الحقيقية للدراسات اللغوية، فإن اليونانية استطاعت صياغة أبجدية اللغة اليونانية، وتم تعديلها بشكل تدريجي وعبر مراحل تاريخية [1].

ولقد كان اليونان على علم ووعي بوجود شعوب تتحدث لغات مختلفة عن اللغة اليونانية،وذلك بوجود انقسامات في اللهجات بين المُتحدِّثين اليونانيين أنفسهم، كما كان هناك احتكاك لغوي بين اليونانيين وغيرهم من الشعوب المجاورة أو البعيدة عنهم، وذلك بسبب تنقلهم وتجارتهم وبواسطة البعثات الدبلوماسية التي كانوا يقيمونها مع غيرهم من البلدان، ومع مستعمراتهم أو مستوطناتهم التي احتلوها على الأطراف الساحلية في المناطق المتحدِّثة بغير اليونانية في آسيا الصغرى وفي إيطاليا .فقد أورد " هيرودوت" وآخرون بعض الكلمات الأجنبية وناقشوها، كما سلّم " أفلاطون " بإمكانية الحديث عن أصل أجنبي لبعض المفردات اليونانية ، كما أننا على علم بوجود متحدثين

---

1 – ينظر: ر،روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، 1997،ص31.

ثنائيي اللغة عند اليونان، ووجود مترجمين محترفين ، ولكن ليس لدينا دليل على وجود اهتمام جِدّي لدى اليونانيين باللغات ذاتها ، وتسمية اليونانيين للغرباء بـــــ: " البرابرة " قد تكون ذات دلالة على موقفهم من هؤلاء.[1].

إن الوعي بانقسام اللغات وتعددها ليس معطًى خارجيا أجنبيا فقط ، بل هو معطى داخلي يوناني أيضا؛ نجده في تعدد اللهجات اليونانية، والجانب الإيجابي من هذا الانقسام هو أنه مَكّنَ اليونانيين من التوحُّد والاتحاد رغم العوائق الجغرافية التي تفصل المدن اليونانية، ورغم الحروب التي وقعت بينهم، إلا أنهم تغلبوا على هذه الصعوبات واستطاعوا أن يتّحِدوا ويُشكِّلوا لغة واحدة. ويشهد على ذلك مؤرخهم هيرودوت الذي أورد على لسان المبعوثين اليونانيين قولهم : " إنه كان من بين روابط وحدة اليونان في مقاومة البرابرة ،كون المجتمع اليوناني بأكمله تربطه صلة الدم الواحد واللسان الواحد ".[2]

وبوجه عام، فاليونانيون هم أول الشعوب الأوروبية التي اهتمت بدراسة اللغة، والمتتبع لتاريخ الدراسات اللغوية يلاحظ أنهم كانوا يدرسونها ضمن موضوعاتهم الفلسفية المتمثلة في نظرية المنطق والميتافيزيقا فكان من الطبيعي ألاَّ يكون للدراسات اللغوية منهاجا خاصا ومستقلا عن المنطق والميتافيزيقا ونظرية المعرفة، وقد أنتج اهتمامهم باللغة البحث في طبيعة نشأة اللغة وطبيعة العلاقة بين اللفظ وما يشير إليه من معنى، فنشأ بذلك الجدل حول طبيعة تلك العلاقة . و لقد كان السفسطائيون من أوائل المهتمين باللغة، فبحثوا في أصل اللغة ونشأتها ، بين الاصطلاح والتوقيف وتميزوا بقولهم بسلطة الكلمة والخطاب، فنجد جورجياس يؤكد على سلطة الخطاب أما الخطابة كَفَنٍّ أو علم فهي مجرد تقنية يمكن أن تنتج الرأي الصحيح أو الرأي الخاطئ.[3] .

أما سقراط فاهتمامه باللغة كان واضحاً في منهجه التوليدي الذي كان حريصاً فيه على تحديد العلاقة بين المعاني والألفاظ،وأشار إلى أنّ الاسم على ما يبدو هو محاكاة صوتية للشيء المُحَاكَى إلا أنّه لم يَقْصُرْ اللغة على اللغة الملفوظة (المنطوقة)؛ فالإشارات والإيماءات وحركات الجسم بإمكانها أن تعبّر عن أشياء معينة ، بينما بحث أرسطو في اللغة من خلال نظرياته في المنطق، لذلك كانت إسهاماته اللغوية مجرد شذرات متفرقة في عمله

---

1- ينظر: بغورة الزواوي، الفلسفة واللغة ، نقد "المنطق اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ،أكتوبر2005،ص10.

2- بغورة الزواوي، الفلسفة واللغة ، نقد "المنطق اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، - المرجع نفسه، ص11.

3 - ينظر: الأهواني أحمد فؤاد ، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة ، الطبعة الأولى 1954 ، ص258.

المنطقي، واللغة حسبه خاصية إنسانية ينفرد بها الإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى ، وما يميزها عن لغة الحيوانات هي القدرة على اختزالها إلى مقاطع معينة.[1]

كما كان للفلاسفة العرب إسهامات في البحث في ماهية اللغة، ولعل أشهرهم أبو نصر الفارابي (870-950) الذي رأى بأن علم اللغة يعتبر مدخلا أساسيا حتى لعلم المنطق، ففي كتابه " إحصاء العلوم " جعل علم اللغة أول العلوم وسَمّاهُ علم اللسان، يليه علم المنطق ثم الرياضيات. [2]

ومن أشد المتأثرين بآراء الفارابي الفلسفية العالم العربي أبو الفتوح عثمان بن جِنّي (322-392هـ) الذي يعد تعريفه للغة من أقدم التعريفات في التراث العربي، ففي كتابه " الخصائص " يُعـرّف اللغة بقوله :<< أما حَدُّها فإنها أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم >> والجدير بالذكر أن ابن جِنّي في تصويره للغة بأنها أصوات لم يستبعد الوسائل الأخرى غير اللفظية، كالإشارات والإيماءات وحركات الجسم ، وهذا يتضح من قوله:<< قد ثبت أن المواضعة لا بُدّ معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومإ إليه، والمشار نحوه >> [3]، ولكنه اعتبر أن تلك الأصوات توصل إليها الإنسان نتيجة لتطور تفكيره، ورقي أسلوب حياته، الأمر الذي جعله يستغني عن الوسائل الأخرى التي كانت تعينه في بداية حياته على فهم كل ما حوله في هذا العالم.[4]

---

1 - صالح فرج سالمة، طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، الناشر مجلس الثقافة العام، دار الكتب الوطنية، 2008،الجمـــاهيرية العـــربية الليبية الاشتراكية ، ص ص30،29. وينظر كذلك :

- Sylvain Auroux ,Jacques Dechamps, Djamel Kouloughli, la philosophie du language , Presses universitaires de France, Puf, Paris, 1996, pp 41-42.

2- ينظر: زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1985،ص155

3- أبو فتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة 2، الجزء 1، دار الكتب المصرية، القاهرة 1952، ص33.

4- ينظر: صالح فرج سالمة، طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر ، مرجع سابق، ص32.

ويرى ابن خلدون (1332-1406م) أن اللغة – في المتعارف عليه – هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بـإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم.[1]

وظلَّت معضلة اللغة تسيطر على أذهان الفلاسفة المحدثين، فاستكملوا ما بدأه من سبقوهم بالاهتمام بهذه المعضلة، فكان الاهتمام بالبحث اللغوي قاسما مشتركا بين العديد من الفلسفات المختلفة التي ظهرت في العصر الحديث، فاللغة خاصية إنسانية منحها الله للإنسان، وميزه بها عن بقية الكائنات الأخرى. وفي هذا الإطار نجد ديكارت قد قدم نموذجا جديدا للمعرفة العلمية، وساهم في توضيح مشكلة اللغة، وبالأخص في علاقة الإنسان باللغة وعلاقة الفكر باللغة، وتَمَيُّزِ الإنسان عن الحيوان بواسطة اللغة، ورغم أن ديكارت لم يخص موضوع اللغة بمكانة أساسية في أعماله الأساسية إلا أنه أشار إلى أن الحاجة إلى لغة كلية أو شاملة كالحاجة إلى وجود رياضيات كلية أو شاملة، وبالتالي يجب تأسيس اللغة بطريقة عقلية وموحَّدة وعالمية كي يتم تجاوز تعدد الأشكال اللغوية، أمـــا " ليبتنز" فقد قدّم اللغة في إطار المنطق الكلي، ورأى أنه يمكن إيجاد حـــلٍّ لتعدد اللغات، وهذا بتأسيس ما سماه بأبجدية الفكر.[2]

وفي الطرف الآخر ذهب " لوك " وغيره من فلاسفة الاتجاه التجريبي الإنجليزي مذهبا جديدا في معالجة مشكلات اللغة، فبدلا من ربط اللغة بالمنطق والرياضيات، قال التجريبيون بتحليل اللغة كما هي في الواقع، وربط لوك بين اللغة والمعرفة، وأشار في كتابه " محاولة في الفهم البشري" إلى كون العمليات الفكرية التي يعبر عنها بألفاظ لغوية لها علاقتها بالواقع، ولم ينظر إلى هذا التحليل اللغوي كغاية في ذاتها، وإنما كوسيلة لطرح المشكلات الحقيقية للمعرفة، كمشكلة التعريف أو التحديد المتعلقة بالأسماء.[3]

وتأصل هذا التوجه التجريبي والاسمي للغة عند فلاسفة التنوير الفرنسيين اللذين درسوا مشكلة اللغة من جانب حسي ونفسي، وذهبوا إلى القول أن اللغة تخضع لقوانين التقدم، حالها حال بقية الظواهر الفكرية والثقافية المتعددة، واللغة عندهم تتشكل من مستويين هما: اللغة الصوتية واللغة الرمزية الشاملة، وخاصة اللغة الجبرية، أي

---

3- ابن خلدون عبدالرحمان، المقدمة، المجلد الأول ، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 19601،ص 1056.

2:-Cassirer Ernest ,La philosophie des formes symbolique,(1- le languge),trad. le Hanser love et Jean La Coste, Minuit, Paris,1972, p79.

3 - Cassirer Ernest , Ibid, p81.

**اللغة اللفظية ولغة الحساب والأعداد، والعلوم ليست إلا لغات مرتبطة بطريقة منظمة، وبالتالي فإن اللغة تتكون من الألفاظ والأصوات وهي العلم الأول للإنسان.[1]**

**وبعيدا عن الآراء والتيارات (عقلي، تجريبي، رومانسي، تاريخي ووصفي) وما أنتجته من دراسات وعلوم حول اللغة، كفقه اللغة وفقه اللغة المقارن والدراسات اللسانية ، هناك من يقيم شبه اتفاق حول ماهية اللغة، فما من شخص إلا ويعلم ما هي اللغة، فاللغة عند غالبية الناس تشير إلى إحدى لغات العالم الطبيعية، التي يتحدث معظم الناس بواحدة منها أو أكثر كل يوم، ويدرك معظم الناس أيضا أن بعض اللغات، كاللاتينية مثلا، التي كانت لسان العديد من البشر في يوم من الأيام، لم تعد تستعمل في الحياة اليومية، ولم تعد لها حياة إلا في صورتها المكتوبة، كموضع للاهتمام الأكاديمي، وانطلاقا من هذا المفهوم الشائع للغة، قام كل من الفلاسفة وعلماء اللغة بإدخال عدد من التحديدات التحليلية، ووضع مصطلح فني لكل منها.[2]**

**لقد ميز الفلاسفة وعلماء اللغة بين اللغات الطبيعية و اللغات الاصطناعية؛ <u>اللغات الطبيعية:</u> الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية والصينية ،.. هي بضعة أمثلة للغات الطبيعية. واللغات الطبيعية تتحدث بها جماعات كبيرة نسبيا من البشر، وهي لغات تتطور وتنمو ببطء، ونادرا ما تكون التغييرات التي تلحق بها متعمدة من جانب الأفراد أو الجماعات. وقد انصبت بعض الدراسات العلمية المبكرة للغة على تلك التغييرات البطيئة (والمطردة بشكل مدهش) في الأنماط الصوتية داخل لغة ما، أو بين عدة لغات مرتبطة تاريخيا، تنتمي مثل هذه الدراسات، أي الدراسات التي تتناول تغييرات معينة تجري خلال فترة من الزمن إلى ما يسمى اللغويات المتعاقبة (الدياكرونية). ومن الممكن أيضا أن ندرس اللغة كما هي في لحظة زمنية معينة ضاربين صفحا عن مسائل التطور أو التغير، وتسمى هذه الدراسات اللغوية: التزامنية (السينكرونية)، وتنصب هذه الأخيرة على اللغة بوصفها منظومة أو بنية من العناصر ذات العلاقة المتبادلة، كالألفاظ المفردة على سبيل المثال، والتي لا يمكن أن تفهم بمعزل عن بعضها البعض.<u>اللغات الاصطناعية:</u> مثل لغات الحاسوب؛ هي لغات يبتكرها أفراد أو لجان من الأفراد لأغراض معينة، ويسبغون عليها خصائص متعمدة يرون أنها تدعم تلك الأغراض.[3] كما هناك تسمية أخرى هي اللغة**

---

**1- Ibid. p93.**

**2- ينظر: -ايرل، وليم جيمس، مدخل إلى الفلسفة، ترجمة د/ عادل مصطفى، مراجعة د/ يمنى طريف الخولي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ص 207 .**

**- العزاوي أبوبكر ، اللغة والمنطق،مدخل نظري،طوب بريس، الرباط،2014،ص ص 24-25.**

**3- ايرل، وليم جيمس، مدخل إلى الفلسفة، المرجع السابق، ص 208-209.**

العادية، وهي أقرب إلى اللغة الطبيعية، والمقصود باللغة العادية هذه اللغة التي يتحدث بها معظم الناس أغلب الوقت، أو هي بعبارة أخرى لغة الحياة اليومية، وهي تختلف عن لغات الاختصاصيين التي تتضمن مصطلحات فنية مثل: الصعود السيمانطيقي، والروز المناعي الإشعاعي...إلخ وقد ذهب كثير من فلاسفة القرن العشرين (*) إلى أن اللغة العادية، بالمعنى الذي أوضحناه، تمنحنا منفذا إلى جميع المفاهيم الهامة فلسفيا، وتمدنا فضلا عن ذلك بأرهف وسيط يمكن من خلاله أن نتأمل هذه المفاهيم ونبحثها. (2)

ومن جهة أخرى ذهب آخرون مذهبا إصلاحيا، مستلهمين الرياضيات والمنطق فحاولوا تشييد لغات صورية أو مثالية تتفادى عيوبا في اللغة العادية؛ كالغموض والالتباس والخواء ورغم أن هؤلاء الفلاسفة لا يمكنهم التنبؤ الفعلي بمدى رواج إصلاحاتهم المقترحة على النطاق العام، فإن بمقدورهم على الأقل أن يتبنوا هذه الإصلاحات بأنفسهم ويستخدموها في مقالاتهم وكتبهم.(3)

وعلى ذكر المذهب الاصطلاحي للغة، وكذا التأثر بالمنطق، من الضرورة أن نقدم رأي الوضعية المنطقية، فاللغة عند الوضعيين المنطقيين تعد أداة مهمة في فلسفتهم، لأنها سبيلهم لإثبات بطلان قضايا الميتافيزيقا والتأكيد على عدم احتوائها على أي معنى، فاللغة التي ينادون بها هي أقرب إلى اللغة الاصطناعية التي تتميز بقدرتها على ملائمة كافة الأغراض المناطة بها، وليست اللغة العادية التي تعد – حسب تصورهم – مليئة بالغموض واللبس، ومن هؤلاء رودولف كارناب الذي رأى أن اللغة تتكون من مجموعة من الكلمات ذات المعاني، وقواعد لتركيب

---

(*)- يعتبر جورج إدوارد مور (1873-1958) ولودفيج فيتجنشتاين(1889-1951) أهم فلاسفة اللغة العادية، بالإضافة إلى فلاسفة مدرسة أكسفورد من أمثال: رايل وأوستين وستراوسن الذين تأثروا بفكر فيتجنشتاين المتأخر، بحيث صار اتجاه فلسفة اللغة العادية يسمى بمدرسة أكسفورد، أما جورج مور فقد ذهب منذ بداية ممارستة الفلسفية إلى أن اللغة العادية يجب أن تكون هي لغة البحث الفلسفي، لأن الفلسفة وتساؤلاتها تنبع من الحس المشترك والمواقف الطبيعية التي يعتنقها الإنسان العادي في حياته اليومية، ومن الطبيعي أن تصاغ هذه المواقف في لغة عادية بسيطة.أما فيتجنشتاين، فقد انتهى في مراحله المتأخرة كما تجلى في كتابه "أبحاث فلسفية" (1953) إلى ضرورة أن يعود الفلاسفة إلى اللغة العادية، وأن يتركوا أية محاولة لإقامة لغة مثالية. ذلك لأن المشكلات الفلسفية تنشأ في نظره من سوء استخدام الفلاسفة للغة العادية أو تجاهلها، واستخدام الألفاظ بمعانٍ بعيدة كل البعد عن الاستخدام المألوف.

2- ينظر :أيرل وليم جيمس، مدخل إلى الفلسفة ،ص 210.

2- المرجع نفسه، ص212.

الجمل، تُبَيِّن هذه القواعد الكيفية التي يمكن بها تكوين الجمل من مختلف أنواع الكلمات.[1] وأكد كارناب على قصور اللغات الطبيعية على المستوى المنطقي، على اعتبار أنها تسمح بصياغة متتابعات كلامية تخلو من المعنى دون أن تخرق أية قواعد نحوية. [2]

أما من حيث النشأة ؛ فاختلف العلماء والفلاسفة حول أصل اللغة، والفكرة السائدة هنا هي ظهور نظريتين: إحداهما تقول بالتوقيف والأخرى تقول بالتواطؤ (الاصطلاح)، ولكل نظرية أنصار من الفلاسفة والعلماء يستندون إلى دلائل وحجج تؤيد ما يقولون.

أولا – النظرية التوقيفية: شغلت مسألة نشأة اللغة الفكر اليوناني، فذهب بعضهم للقول بالتوقيف ورأى أن اللغة وحي من الإله ، وليس من خلق البشر، وأشهر هؤلاء " هيراقليطس "الذي ذهب إلى أن الأسماء تعطى من قوة إلهية، ولهذا جاءت وقفا على المسميات.[3]

كما تبنى " أفلاطون " هذه الفكرة وتحدث عن موضوع اللغة على لسان سقراط في المحاورات التالية:" جورجياس" و " السفسطائي" وخاصة في محاورة "كراتيل" التي تناول فيها مسألة العلاقة بين اللغة والواقع أو بين الاسم والشيء، وهل بإمكان الأسماء أن تعبر عن حقيقة الأشياء. أما رأي أفلاطون في مسألة أصل اللغة فقد تراوح بين التوقيفية و التواطؤية، وسار على خطى هيراقليطس، رافضا أن تكون الأسماء وليدة الاتفاق العابث لأن على الاسم أن يشير إلى المُسَمَّى، فلكي تحصل الإشارة يجب أن تكون ثمة محاكاة بينهما.[4] كما رأى أن الأسماء والألفاظ هي الجالبة للفساد، ومنها ينشأ الظلال لذا وجب أن ننطلق – في نظره – من الأشياء عينها، لا من الكلمات التي تشير إليها ، فالكلمات كالزئبق لا تستقر على ركيزة واحدة، في حين أن الحقيقة ثابتة لا تقبل تغييرا ولا تبديلا.[5]

---

3- المرجع نفسه ،ص 210.

2- صالح فرج سالمة، مرجع سابق، ص43.

4- ينظر: الحاج كمال يوسف، فلسفة اللغة، دون طبعة، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1956، ص68.

4- أفلاطون، محاورة كراتيليوس،ترجمة عزمي طه السيد أحمد،منشورات وزارة الثقافة،الأردن ،الطبعة الأولى،1995،ص ص65-66.

5- المرجع نفسه،ص 68.

أما عند العرب والمسلمين، فنجد الأشاعرة وحدهم الذين نادوا بأن اللغة العربية توقيفية والأمر كذلك بالنسبة لجميع اللغات الأخرى، لأن الله هو الذي وضع معاني الألفاظ، ويستندون في ذلك إلى قوله تعالى: { وعَلّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا } (البقرة31). بينما رأى المعتزلة أن فكرة التوقيف مرتبطة بأسماء الله دون غيرها من الألفاظ.[1]

ثانيا- النظرية الاصطلاحية: تقرر هذه النظرية أن اللغة استحدثت بالتواضع والاتفاق وارتجال ألفاظها ارتجالا، وهو ما يعبر عنه العلماء العرب بالاصطلاح، فالقائلون بهذه النظرية يسندون نشأة اللغة إلى الإرادة الإنسانية فيعتبرونها من صنع أرباب اللغة واصطلاحهم، فالإنسان هو من أطلق الأسماء على كل ما في الكون من مسميات، بحيث أصبح لكل مُسمى اسما خاصا به، يُمثِّله ويُعبر عنه، وذلك من خلال الاتفاق فيما بينهم على تسمية تلك الأشياء،وبهذا يكون لكل جماعة لغة خاصة بها، وألفاظ تم الاتفاق عليها فيما بين أفرادها، ولهذا نلاحظ اختلاف اللغات من مجتمع لآخر، واختلاف اسم الشيء الواحد من جماعة لأخرى.[2]

ومن أشهر الذين قالوا بالاصطلاح في الفلسفة اليونانية هو " ديمقريطس" الذي اعتبر منشأ اللغة عملية تواطئية، لأن الشيء الواحد ذاته كثيرا ما يقبل عدة أسماء، ولأن الشخص الواحد يضل هو هو رغم تطوره أو تنازله عن اسمه، وقد عبر " هرموجينس"عن هذه النظرية بقوله: << كثيرا ما ناقشت هذه المسألة مع كراتيليوس وآخرين،ولم أستطع أن أقنع نفسي بأنه يوجد هناك أي مبدأ آخر للصواب في الأسماء غير الاصطلاح والاتفاق .إن كل اسم تطلقه الطبيعة- في رأيي- هو الاسم الصحيح،وإن غيرت هذا الاسم وأطلقت آخر فإن الاسم الجديد صائب صواب الاسم القديم،نحن كثيرا ما نُغَيّر أسماء عبيدنا،و الاسم الجديد الذي نطلقه صالح صلاحية القديم ،لأنه لا يوجد اسم أطلقته الطبيعة على أي شيء ،فكلها اصطلاح وعادة عند مستعمليها. >>.[3]

وحديثًا رأى مؤسس الوضعية أوغست كونت (1788-1857) أن أصل اللغة اجتماعي وأنها مؤسسة اجتماعية تسمح باكتساب المعرفة وتُنَمّي الإحساس الجمالي، وانتماءها إلى المجال الاجتماعي يجعلها بالضرورة خاضعة لسنن التقدم والتطور،كما ميز بين مستويين في اللغة؛ المستوى البيولوجي والمستوى السوسيولوجي، يظهر الأول في العلاقة التي تشكل اللغة، ويظهر المستوى الاجتماعي في تطورها أو ثرائها كلما امتد واتسع

---

1-ينظر: زيدان محمود فهمي، في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985 ،ص180.

2- صالح فرج سالمة، طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر، مرجع سابق ، ص48.

3- أفلاطون، محاورة كراتيليوس،ص92.

**المجتمع وتعقدت الحياة الاجتماعية، وبالتالي فإن مصيرها مرتبط بالمجتمع الذي يستعملها في جميع المجالات الفنية والعلمية والثقافية، لأن عموم الناس هم المؤلفون للغة.[1]**

**أما الوضعيون الجدد فاهتمامهم باللغة أساسي، بل حصروا موضوع الفلسفة كله في اللغة. وهذا ما يؤكده القول بأن مَهمة الفلسفة هي التحليل المنطقي للغة، وأن عالم الخطاب منقسم إلى قسمين أساسيين: الخطاب العلمي المؤلف من قضايا تحليلية وتركيبية قابلة للتحقق والبرهان، والخطاب الميتافيزيقي المكون من عبارات خالية من المعنى. أما اهتمامهم بأصل اللغة، ففي حدود بحثنا لم يكن مجالا للدراسة، وإنما تركز حديثهم عن اللغة كما أشرنا آنفا، وكذا في الفصل الأول من بحثنا هذا – وسنشير إلى الأمر لاحقا كذلك – من باب أن الوظيفة الجديدة للفلسفة هي تحليل لغة العلماء ، وكذا في استبعاد الميتافيزيقا عن طريق التحليل المنطقي للغة الذي يبين في نهاية الأمر أن عباراتها إما زائفة أو خالية من المعنى، على حد تعبير رودولف كارناب.**

**ويمكن القول في الأخير بأن اللغة صناعة إنسانية وظاهرة اجتماعية، وأن الإنسان هو صانع الألفاظ وقواعد تركيبها، وقد نشأت عن طريق اتفاق الناس واصطلاحهم حين تجمعوا على إعطاء أسماء لما أمامهم من أشياء، ومع مرور الزمن حدث ارتباط بين كل اسم ومُسمَّاه. ولكل حضارة قسط مُعيّن أسهمت به في بناء اللغة الإنسانية، ومن غير المنطقي نسبتها إلى حضارة دون أخرى. واللغة علم ومن خصائص العلم السياق المتلاحق والطابع التقدمي، أين يستفيد فيه اللاحق من السابق ، فالوقائع الجديدة هي ثمرة لتراكم وقائع قديمة، وهكذا حتى وصلت اللغة إلى ما هي عليه اليوم؛ لغات متعددة بقواعد خاصة، ومفردات تُضاف حسب الحاجة ، وبعيدا عن كل تباين في الرؤى، تعتبر اللغة أهم أدوات التفاهم و الاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي.**

---

**1 – المرجع نفسه،ص87.**